ستانلي بولدون

السياسة بين الذكاء والخلق

رجل في السابعة والستين ، ربعة القوام حليق العارضين والشاربين ، ازرق العينين احمر البشرة ، يرتدي من الملابس ابسطها الى حد الرثاثة ؛ وفي يده او فمه غليون لا يكاد يفارقهُ

هذا هو بولدون في مظهره الخارجي . بولدون الذي تقلد رآسة الوزارة البريطانية مرتين وزعامة المحافظين من يوم تخلّى عنها بونارلو قبيل وفاته من نحو اثنتي عشرة سنة . هذا هو الرجل الذي أتى على كتفيه وشاح دزرائيلي وساليسبري وروزبري وبلفور . تراهُ وهو يدخن غليونهُ فتحسبهُ من عامة الشعب او رئيساً من رؤساء نقابات العمال لا زعيم المحافظين البريطانيين

وقد تخطئهُ عند النظرة الاولى ؛ فشكلهُ اقرب الى شكل مقاول معهدي منهُ الى اي شيء آخر . ولا يصعب عليك ان تتصورهُ واقفاً على الجدار وحواليه العمال على السقالة ، وفي اذنيه رنين المطارق وفي جيبه لفّة بارزة هي رسوم المهندس . قد لا يوافق هذا المقاول المهندس في كل ما رسم وصمم ولكنهُ يمضي في عمله من دون ان يبدي اعتراضاً ، لان الاعتراض على تصميمات المهندس ليس من شأن المقاول

على ان النظرة الاولى كثيراً ما تخطيء ، لانّ وراء سكون المستر بولدون وهدوئه صفات عظيمة هي زينة الصفات التي يمتاز بها المشتغلون بالسياسة ، نعني حسن التقدير ورحابة الصدر . والواقع ان هذا « المقاول » السياسي مزيج انكليزي عجيب من السريّ والمتموّل الصناعي في ناحية ، والخيالي والشاعر في اخرى . فيه تلتقي النزعتان الواقعية ، وقد تلقاها من اشتغال اسرته بصناعة الحديد ، والرمانطيقية وقد اخذها من ناحية والدته . اليس رديرد كبلنغ الشاعر والروائي ابن خالته ؟ او لم يقل كبلنغ في بولدون « انهُ اديب اسرتنا » ؟ وهاتان النزعتان تخرجان منهُ رجلاً يمثل الطبع البريطاني الاصيل اصدق تمثيل

***

يختلف بولدون عن اكثر الزعماء المحافظين الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في انهُ اتى السياسة من ناحية الصناعة . ولا يخفى ان اتجاه حياة الامم القومية والدولية الى العناية بمشكلات الاقتصاد والصناعة والنقد والتبادل والعمل والعمّال ، يفسح في الصفوف المتقدمة من الاحزاب السياسية مكاناً خاصّاً لهذا الطراز من الزعماء

ولكنّ بولدوين يختلف عن زملائه من رجال السياسة حتى الناشئ منهم في الاوساط الصناعية في انهُ لا يجري على المعهود المألوف من اصول التفكير السياسي. فأيّ سياسي يفكر تفكيراً سياسياً بالمعنى المألوف يمنح خزينة دولته خمس ثروته الكبيرة، ثم يرفض ان يذاع ذلك عنهُ. ولو لم يعرف خبر هبته اتفاقاً لظل اسم بولدوين واهبها مطويًّا عن السواد من الناس لا يعرفهُ الاّ اصحاب الخزينة. انهُ فعل ذلك وهو يأمل ان يقتدي به اثرياء الامة الانكليزية فيمحوا بهباتهم للخزينة الف مليون جنيه من ديون انكلترا. وهذا في الواقع عمل شاعر اكثر منهُ عمل سياسي.

بل اي سياسي يقدم، وهو في مستهل حياته العامة، على القاء خطبة يقاوم بها لويد جورج وصحبهُ امثال بركنهد وتشرشل وتشمبرلين وهم سادة بريطانيا حينئذٍ — ١٩٢٢ — واصحاب الحول والطول فيها، بل يقاوم بها السواد من حزبه، حزب المحافظين، طالباً انفصالهم عن الوزارة الائتلافية القائمة حينئذٍ. كان من الممكن ان يفضي هذا الخطاب الى اخفاقه في ما طلب، فيقضى على آماله السياسية في مهدها، ولكن المستر بونارلو ايدهُ، وخرج من عزلته رغم مرضه، لتقلد زعامة الحزب، فهوى لويد جورج من ذروة مجده، وتفرّق الثلاثة ايدي سبا

***

والواقع ان ارتفاع بولدوين من مقعدٍ خلفيّ في مجلس النواب البريطاني، الى اعلى منصب في البلاد سوف يبقى من اخفى خفايا السياسة البريطانية في السنوات التي تلت الحرب الكبرى. وهذا القول يذكرنا برسم كاريكاتوري، رسمهُ الرسام بيربوم مثّل فيه بولدوين الفتى واقفاً امام بولدوين الكهل وهو يقول لهُ دهشاً: — « أنت رئيس وزارة ! يا الهي ! »

***

ولد في سنة ١٨٦٧ وتلقى العلم في جامعة كمبردج وتولى أعمال ابيه الصناعية نحو عشرين سنة ثم انتخب عضواً في البرلمان البريطاني سنة ١٩٠٨ فخطب خطبته الاولى فيه في موضوع يفهمهُ أدق الفهم وهو « مناجم الفحم ». ولكنه ظلّ على القواعد الخلفية، أي من النواب الذين لا شأن لهم، حتى كانت سنة ١٩١٦ فعين سكرتيراً لبونارلو، ومن ثمّ تقلّب في المناصب حتى عين وزيراً للمالية سنة ١٩٢٢ في وزارة بونارلو — بعد سقوط لويد جورج — وعقد مع الولايات المتحدة الاميركية تسوية على الدين الاميركي البريطاني. وبعد وفاة بونارلو تقلد زعامة المحافظين وما يزال زعيمهم مع أن فريقاً منهم حاول أن يتحدى زعامتهُ في موقف الحزب نحو مشكلة الهند طالباً تغليب النزعة الامبراطورية الاستعمارية على نظام الحكم فيها. ولكنه ردّهم خاسرين واحتفظ بزعامة الحزب وبوحدته كذلك. وقد رأس الوزارة مرتين. وينتظر أن يتولى رآسة الوزارة القادمة اذا كانت الاكثرية للمحافظين وهو الغالب

والمرجح ان سرّ المقام الذي احرزهُ والثقة التي فاز بها، ان أبناء قومه يعلمون انهُ لا يسعى

وراءه مصلحة مالية او نفع خاص . وكثيراً ما يشبهونهُ في ذلك بوزيرهم العظيم وليم بتّ . كان بت فقيراً فلما عرض عليهِ منصب ذو مرتب كبير رفضهُ ، فاثبت لاهل وطنهِ ان المال ليس بغيتهُ . امّا بولدوِن فغنيٌّ ، ومع ذلك لم يتعذر عليهِ أن يقيم الدليل على تجرده عن طلب المصلحة الخاصة في خدمة بلاده فتخلى سرّاً سنة ١٩١٩ عن ١٥٠ الفاً من الجنيهات للخزينة ولم تعرف هذه الحقيقة الاّ اتفاقاً

***

وكأننا اذا تأملنا في مكانة بولدوِن بين ساسة بلادهِ نراه دخيلاً على السياسة ، اقتحمها من دائرة بعيدة عن السياسة ، ليست هي دائرة الصناعة فحسبُ ، بل اذا أنت تأملتهُ وهو داخل البرلمان ظننت انهُ قادم من جولة في الريف ، بندقيتهُ في كتفهِ وغليونهُ بين شفتيهِ ، فلما اقبل على قصر وستمنستر ترك بندقيتهُ وغليونهُ في حجرة « الفستيبر » ومشى بملابسهِ البسيطة الى مكان الاجتماع كأقلّ النواب شأناً لولا انهُ زعيم المحافظين

اقتحم ميدان السياسة من قبل ، رجالٌ أتوها من الخارج . فبلفور جاءها من عالم الفكر الفلسفي ، وغراي من عالم الطيور ، بل يقال أن بلفور كان ينظر الى شؤون السياسة ، كأنهُ بطلٌ عليها من المريخ . وان غراي قلما حضر جلسة من جلسات مجلس النواب الاّ واسرع بعدها الى حدائقهِ في « صري » ليعنى بدراسة الطيور وطبائعها العجيبة . ولعلّ كتابهُ فيها أبقى على الزمن من سيرة حياتهِ السياسة الموسومة « خمس وعشرون سنة »

ولكن بولدوِن دخل حلبة السياسة من ناحية الريف ، حيث يحبُّ التجوُّل والتحدُّث الى الفلاّحين والعمال، كأنهُ جارهم وخدنهم ، فيستمدُّ من أحاديثهِ هذه الافكار والآراء العملية التي يبني عليها خططهُ السياسية . وهذا من جانبهِ — مع انهُ خريج جامعة كمبردج وصاحبُ المصانع الكبيرة — طبيعيٌّ لا كلفة فيهِ . ذلك انهُ من طبقة الحكام الذين ينظرون الى الصلة بين طبقتهم وطبقة العمال على انها صلة عائلية ، تهمهُ بنوع خاص ، ويوجه اليها عنايتهُ ، ولا يعرف معنى لكلمة الاحتقار فيما يختصُّ بها

بل انهُ لا يفهم القول بالعداء بين الرأسمال والعمل . فالصناعة في رأيهِ عمل عائلي ، يدار بإشراف رب العائلة . فلا العامل يطرد منهُ بوجه من الوجوه ، ولا يضرب فيه عاملٌ عن العمل ، بل انهُ يكره لفظة مستأجَر ، ويقول ان علماء الاقتصاد يخترعون لنا الفاظاً سمجة منها هذا اللفظ . فهو في انكلترا التي خرجت من الحرب الكبرى ، يمثل « جون بول » بفضائله ونقائصه ، بأمانته واستقامته وحسن معاملته وتراخيه وضعف خياله

***

ولعل مؤرخي المستقبل اذا جاءوا يكتبون سيرة بلدوين ، حكموا بأنهُ امتاز بتلك الصفات العالية التي تنبع من القلب وتستند الى الشعور ، دون الصفات التي مردّها الى الذكاء والعقل . فلم يعرف في

ميدان السياسة البريطانية رجل اكثر تجرداً منه عن المصلحة الخاصة ولا اكثر بذلاً في خدمة الدولة

ولكن الناس يختلفون في المقابلة بين الذكاء المتوقد والخلق الطيب واثرهما في الحياة العامة. وكل ما يمكن ان يقال في هذا الموضوع يلخص في كلمتين: كان الاجتماع الذي اشرنا اليه في مطلع المقال لما ثار بلدوين وبونارلو على وزارة لويد جورج الائتلافية سنة ١٩٢٢، وكان ان بلدوين وبونارلو عكسا من الفوز بتأييد صفوف المحافظين لهما فقتنا تركهند وهو من اعضاء الوزارة ومن اشد الانكليز ذكاء بأن البلاد تسعى الى حتفها اذ تتخلى عن ادمغتها التي من الطبقة الاولى. فرد عليه اللورد روبرت سسل في الحال وكان في الرد فصل الخطاب: «ان الادمغة التي من الطبقة الثانية تفضل على الاخلاق التي من الطبقة الثانية»

وفي هذه الجملة يلخص موقف الانكليز نحو كبار رجالهم. انهم لا يؤمنون بمجرد الذكاء والتوقد والالمعية، ولا يمحضون ثقتهم في الغالب الا لصاحب الخلق المتين

***

على ان الاخلاق والذكاء لا يجديان السياسي الا اذا كان ذا مقدرة على الاقتناع بفكرة معينة واكتساح كل شيء في سبيل تحقيقها. وما عرف عن بلدوين حتى الآن يشير الى انه مقصر في هذه الناحية، لان نزعة الشاعر تتغلب عليه احياناً، فيميل الى التراخي. ولعل للطبقة التي نشأ فيها اثراً في ذلك. فرجل مثل المستر مكدونلد نشأ من الحضيض، كان مضطراً في خلال حياة الكفاح ان يعتاض بزوجته عن سكرتير له، فهو بحكم نشأته يهتم بتفاصيل كل شيء. ولكن المستر بلدوين الذي قضى عشرين سنة، مديراً لاعمال صناعية كبيرة قبل ان يخوض ميدان الحياة العامة، لم يعن في حياته قط بالتفاصيل، فهو لا يهتم بها في منصب زعامة المحافظين فيكتفي بأن ينظر في المسائل السياسية الكبرى التي لها صلة بخطة الحزب. وقد يستطيع ان يسود المستر بلدوين، رجلاً قوي الشعور منتظم الاحساس كأنه صليبي يكافح في سبيل عقيدة، أو قد يصبح صاحب خطة معينة غير مفككة، ولكنه لا يستطيع أن يوضع في مصاف الكبار من رجال السياسة، الا اذا ملك القوة المكتسحة التي تمكنه من تحويل خطة سياسية متسقة الجوانب، الى حرب صليبية في سبيل الاغراض العليا

قد يجيء ذلك اليوم، فيخرج بالحزب من سباته الحالي، لانه لما حاول بعض خصومه أن يعلوا عليه مشيئتهم وجدوا فيه خصماً عنيداً يستطيع أن يتلقى الضربات ويكيلها أشد مما يتلقاها. ولكن ما لم يخرج «بولدوين» جديد شديد الحماسة قوي الكفاح، يعنى بمشكلات البلاد العامة، أكثر من عنايته بمشكلات الحزب، يظل مكانه في تاريخ بريطانيا السياسي متراوحاً بين النجاح والخيبة. قد تخلقه أيام الضيق التي تجتازها بريطانيا خلقاً جديداً، ومن دون انتظار، وإلا فلا بد من أن يخلي مكان الزعامة لغيره أو انتزعت الزعامة من الحزب بأمره

المساكين

[مختارات من قصيدة لفيكتور هوغو — وقد احتفل بانقضاء نصف قرن على وفاته — تدور على قصة رجل من الصيادين مضى كعادته الى البحر يصطاد ليحمل الى عياله القوت . وبينما كان يصاول اهاويل اليم ويدافع عاصف الريح ، كانت امرأته تأوي في كوخها طفلين عارة لها من الماكين ماتت بالليل عنهما ، فتبوئهما فراشاً وثيراً ما وجد الصيا ليك فراشاً وثيراً ثم جعلت ترقب أوبة بعلها وجلة تساورها الهواجس تسأل نفسها ماذا عسى يكون رأيه في صنيعها هذا]

مناجاة الشاعر لنساء الصيادين

وارحمتاه لكُنَّ يا نساء الصيادين ! ما افظع ان تتناجي تقولين : « هناك ارواح لي ، أب ، حبيب ، اخوة ، ولد ، كل عزيز عندي ، هناك في هذه الفوضى ! — قلبي ، دمي ، جوارحي » . يا لله ! ان من كان فريسة الامواج كان فريسة الوحوش . يا ويلتا ! إذ نتصور ان جميع هذه الرؤوس يلهو بها اليم ويلعب ، من الولد الذي يتعلم الملاحة الى الزوج المعلم ، وأن الريح الهوجاء النافخة في ابواقها قد ارسلت من فوق رؤوسهم شعورها المقدودة[1] المتشعثة . وان نظل دائماً لا نعلم عام العلم ما هم يفعلون ، وانهم اذ يصاولون ذا الخضم الذي لا قرار له ، وكل مهلكات الظلام حيث لا نجم فيها يضيء ، لا يجدون سوى حزة[2] لوح وقطعة قماش ! هم بهم ! ننطلق بين الجنادل ، ويقبل المد فنخاطبه ونصرخ في وجهه : « ويحك ردهم الينا ! » ولكن وا أسفا ! ماذا عسى يقول بحر لا يبرح ملتطماً ، لذي بال لا يبرح في هم وحسرة ؟

وحنة ايضاً اشد حزناً وكمداً . إن بعلها لوحيد ! وحيد في هذا الليل الأليل ! وحيد تحت هذا الستار الاسود ! لا ولي ولا نصير . اما الاولاد جد صغار — ايتها الام ! انك تقولين : « ليتهم كانوا كباراً ! ان اباهم لوحيد ! » اوهام واضاليل ! غداً حين يمسون بجانب ابيهم وينطلقون تقولين باكية : « ويلاه ! ياليتهم كانوا صغاراً ! »

في بيت الجارة الميتة

فولجت . واضاءة داخل البيت سراجها . بيت مظلم لا تسمع فيه ركزاً[3] ولا نبأة[4] عند شاطىء الامواج القاصفة قد ثوى[5] وكان الماء من السقف يسيل ، كأنما من عيون غربال يسيل

(١) الطويل الناعم (٢) القطعة (٣) الصوت الخفي (٤) الصوت ليس بالشديد (٥) اقام

في الصدر كان صورة يبعث الهلع مستلقياً . امرأة ساجية[1] منقلبة والقدم منها عارية بصر مستطيع ، وهيئة مرعبة هائلة . جثة — من قبل ام مرحة شديدة ؟ — شبح ذات بؤس هتكت حفوة الدهر . ما يبقى من المسكين بعد طول عراك وجهاد ، وكانت قد تدلت منها بين قش الفراش البالي ذراع صفراء باردة ويد يعلوها اخضرار ، وكان الذعر جاثماً بين هذا الفم المفهق[2] الذي كانت الروح ، وهي مولية منه حسرى كئيبة ، قد صرخت صرخة الموت الكبرى التي تسمعها الابدية !

بجانب الفراش الذي كانت الام فيه منطرحة ، كان طفلان جد صغيرين ، ذكر وانثى ، في مهد واحد نائمين يبتسمان ، وكانت امهما ، إذ احست بدنو الموت ، قد القت على ارجلهما إتبها[3] وعلى بدنهما ثوبها ، لكي لا يشعرا ، ساعة الاحتضار اذ الموت يتناشنا[4] بالحرارة تفتر ، وليجدا الدفء بينما هي تبرد

***

ما أشد نومهما في مهدها الذي يضطرب ! انفاس هادئة واسارير وجه راقدة ، وكأن لا شيء يوقظ هذين اليتيمين النائمين ، حتى نفخ الصور في يوم البعث ، اذ ، وهما الطاهران ، لا يخافان الحساب ولا الديان

والقطر في الخارج كالطوفان يهدر وينهمر . ومن السقف العتيق المتهتك الذي تنبعث منه الريح ، تقع أحياناً على هذا الوجه الميت قطرة تسيل منه على الخدين فتستحيل عبرة ودمعة . والموج له دوي كدوي جرس الاستغاثة ، والميتة مصغية الى الموت لا تفقه ! إذ كان البدن ، حين تزايله الروح للشرقة ، ينشد الروح وينادي ملكه ، وكأنما تسمع هذا الحوار العجيب بين الفم الذي ذبل والعين الزائغة : ما صنعت بانفاسك ؟ — وانت ببصرك ؟

يا أسفا ! احبوا ، واحيوا حياتكم ، واقطفوا زهر الربيع ، وارقصوا ، واضحكوا واحرقوا قلوبكم ، واجرعوا كؤوسكم ، فكما الى البحر الخضم غاية كل نهر ، كذلك كتب القدر أن غاية الولية ، والمهد ، والامهات الوالهات بأطفالهن النشء الصغار ، وقبلات البدن التي تبهت النفس وتذهلها ، والاغاني ، والابتسامة ، وجديد الحب وحلوه ، غاية كل اولئك برودة الجدث الحزنة !

(١) ساكنة (٢) المفتوح الواسع (٣) قميص المرأة او ثوب لها بلا اكمام (٤) اتناش . تناول اختطف

فكتور هوجو في فرانسا

Victor Hugi

(١٨٨٥ — ١٨٠٢)

السر لورنس بنيون

Laurence Binyon

وقد صورت في حديقة منزله الريفي بانجلترا

فُتح الباب بغتة على المصراعين بصرٌ صرير وفولج منهُ الى الكوخ شعاع أبيض وبدا الصياد على العتبة جذلان يجر شبكة تنضح بالماء وقال: « هــذه هي الملاحة ! وقالت حنة: أو أنت ! » وعانقت بلهفة بعلها ولثمت رداءه لمّة الوله بينا كان المـلاح يقول: « هاءنذا يا امرأتي ! » فترى منهُ على جبينه الذي كان أتون النار يلقي عليه نوره، قلبه الطيب الراضي الذي تلقي عليه حنة نورها. وقال: «لقد سُلبت وضاع كدحي. انما البحر غابة — وكيف كان الجو ؟ — عاصفاً شديداً — والصيد ؟ — خاسراً رديئاً ولكن هاءنذا معانقُك وتقرُّ عيني. ما أصبت وشَلاً. لقد تخرقت شبكتي. لقد كان الشيطان رابضاً من وراء الريح التي كانت تهدر. يا لها ليلة ! لقد ظننت لحظة مع كل هــذا القصيف والعجيج ان السفينة تضطجع وان المرسى قد انقطع. وما صنعتِ أنت خلال ذلك ؟ »

فمرت حنةَ في الظلام هزة واضطربت وقالت: «أنا ؟ عمر الله، لا شيء خِطتُ كالعادة، وكنت اسمع البحر كالرعد وكنت خائفة — أجل، ان الشتاء كلب شديد ولكن سيان». حينئذٍ قالت ترتجف كالذي يركبون المعصية: « والحديث ذو شجون، ان جارتنا قد ماتت. أمس قضت نحبها. وبعد، فسيان وانا اذ مضيت أنت عشاء، تركت هي طفليها، وانهما لصغيران يدعى أحدهما غليوم والثاني مادلين. واحد لا يمشي والآخر لا يكاد يتكلم. لقد كانت المسكينة الطيبة فقيرة عائرة. »

فاتخذ بعلها هيئة الجد، والتى في أحد الاركان فلنسوة مكدود شقي بللها الإعصار وقال وهو يحك رأسهُ: «يا عجباً ! يا عجباً ! لقــد كنا بخمسة أطفال فهاهم ستة. لقد كنا من قبل في هــذا الفصل الرديء العاتي نتجاوز عن العشاء أحياناً، فكيف بنا الآن ؟ ... انهما والله لصغيران ! لا يمكن ان يقال لهما: اشتغلا. يا امرأة هلمي فأتي بهما. لئن كانا قد استيقظا فلا بد يخافان مع الميتة وحدهما. ها هي امهما تقرع بابنا فلنفتح للطفلين. إنا نخلطهم جميعهم معاً وكل مساء ينشبان بحجورنا وسيعيشان معاً ويكونان أخاً وأختاً للخمسة الآخرين . . . وأشرب انا المــاء صرفاً واضاعف جهدي وكدي. قضي الامر. هلمي فاحضريهما. ولكن ما بك ؟ أساءك هذا ؟ عادتك في مثل هذا الاعجال والمبادرة.

فقالت وقد شقّت عن الاستار. انظر، ها هما !

الفتاة الاجنبية (١)

[يعنى صديقنا الدكتور بشر فارس الآن بدراسة اللغة الالمانية وآدابها في برلين. وهذه القطعة من بواكير ما نقله عن الشعر الالماني وهي لشاعر الالماني الابتداعي شلر (١٧٦٩ — ١٨٥٠)]

في غُرّة كل سنة ، أوّلَ ما تصفر القنابر ، كانت فتاة جميلة فتّانة تبرز في وادٍ الى رعاةٍ مُقِلّين

لم يكن الوادي مَسْقَطَ رأسها ، ولم يَدْرِ أحد مأتاها ، وكانت متى انصرفت عفا أثرها

السعادة كانت بين يَدَيها ، فما انفكّت القلوب تفرح بها ، غير أن جلالةً لها ، من الظَّرْفِ والكَفِّ جعلت تصونها

كانت تأتي بأزهارٍ وفواكه : هذه نضجت وتلك تَفَتَّحت في قرى أخر ، في أقاليم أخرى ، عند طبيعةٍ أوفرَ حظًّا

كانت تصل الرعاة واحداً واحداً : فتنيلُ هذا فاكهة وتَهبُ ذاك زَهْراً . فكان كلُّهم — فتاهم وشيخُهم المتوكىء — ينطلق الى داره وبين يديه تحفة

وكانت ترحب بالضَّيْف جميعهم . الاّ أن عاشِقَيْن دَنَوا منها ، فنحتهما الطفَ الهدايا إذ جادت لها بأتمّ الازاهر حُسْناً

الدمعة

[نقل هذه القصيدة من الادب البرتغالي الاديب الياس زعرور ونشرتها مجلة « العصبة » التي يصدرها في سان بولو الكاتب المعروف حبيب مسعود ويشارك فيها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل]

في صباح يوم من ايام الربيع الدافئة ، ذرفت مقلة الفجر دمعة صافية ، اصابت ورقة من تبنة يابسة على جانب طريق موحش في سبسب مقفر . دمعة نقية متلألئة تظهر للقريب كماسة براقة وللبعيد كنجمة لماعة

---

(١) Das Maedchen aus der Fremde ، وبها يرمز الشاعر الى الشعر نفسه

مرّ بها ملك يحف به الجند والاتباع ، فقال وقد راقه منها ذلك الاشعاع ، إن في تاجي من الجواهر ما لا يثمن ، وفيه من لآلىء الشرق الساحرة ما يزري بدموع غوان صورها الحب الدفين . ولكني أتخلى عنها كلها مسروراً لو يتاح لي ان اعتاض منها بهذه الدرة اليتيمة لاجعلها شعاراً لملكي العظيم ومجدي الاثيل

سمعت الدمعة السماوية ما قال الملك وظلت صامتة ولم تحفل بتاجه ودرره

ومرّ بها صليبي مدجج بسلاحه وعلى جسمه درع ذهبية الزرد فقال وحق الصليب المقدس لا يليق بدرة كهذه الا مقبض حسامي فأسير بها في ساحات الجهاد من نصر الى نصر حبًّا بفادي الانام ومتى رجعت اجعلها قلادة في عنق حبيبتي فتكون عوذتي في جهاد الحروب ونصيري في امتلاك القلوب

سمعت الدمعة السماوية ما قال الصليبي وظلت صامتة يمنيها الرجاء ولم تعبأ بوعوده وعظمته

ومر بها يهودي شيخ بقافلة تحمل ما خفّ وغلا من الكنوز فصاح يا لاسرائيل ما كنت احسد ملكاً على ما حشد من اموال ولا بحراً على ما حوى من لآلىء ولكني تجاه هذه الدرة الفريدة ارى يديّ الشحيحتين تجودان ولا اسف بكل ما املك من كنوز وتحف

سمعت الدمعة السماوية ما قال اليهودي ولم تأبه لكنوزه وتحفه

وكان تحت التينة عوسجة صغيرة ذاوية تشرئب مدلة بحقها من رحمة الله فقالت تعالي ايتها الدمعة السماوية روّي جفاف روحي بحق الاله فكلما ضرعت اليه تزيدني شمسه جفافاً وانا بين الصخور لم اسمع زقزقة العصافير ولا لامست نعومة الاعشاش اغصاني اذ لا غصن لي يجثم عليه العندليب ولا ظلّ لي يؤمه بحبيبه الحبيب فأغيثيني ايتها القطرة السحرية ان لي بك غنى عن كل مال

سمعت الدمعة السماوية ما قالت العوسجة فاختلجت وسقطت منعمة صامتة

وبعد قليل من الزمن رأى الناس معجبين ان الحياة قد عادت الى تلك العوسجة الذاوية فأورقت وأزهرت زهوراً كجراح المصلوب وجاء النحل يمتص الشهد منها كما يجتنيه من ازهى الورود

الخريف

لألفونس دي لامرتين

[نقلها عن الفرنسية : جورجي نصيف بقولاوس]

سلاماً أيتها الغابة ، المتوّجة ببقية من الخُضرة ، سلاماً أيتها الاوراق الصفر المبعثرة على العشب ، سلاماً أيتها الأيام الأخيرة ذات الروعة والبهاء ، فحُزنُ الطبيعة يحلو في نظري ، ويتردّد صداه في جوّ أحزاني

اني لاسلك ممرّ الغابة الموحش مفكّراً مهموماً ، ويحسن في قلبي ، ان أرى للمرة الأخيرة ، هذه الشمس الشاحبة ، وضياؤها الضعيف لا يكاد يخترق ، تحت قدميّ ، ظلام الغابة

أجَلْ ، في أيام الخريف هذه ، حيث تقضي الطبيعة نحبها ، أجد في نظراتها المحتجبة بهاء وجمالاً ، فهي وداع صديق ، هي آخر ابتسامة للشفتين ، اللتين سيغلقهما الموت الى الأبد

هكذا ، وقد اوشكتْ ان اغادر افق الحياة ، باكياً من ايامي الطويلة الامل الضائع التفتُ ورائي ، ملقياً نظرة اسىً وحسرة ، على تلك النعم التي لم يُتَحْ لي التمتع بها

ايتها الارض ، ايتها الشمس ، ايها الوادي ، ايتها الطبيعة الجميلة الوديعة ، اني مدينٌ لكِ بدمعة على حافة قبري ، فالهواء معطر الأريج ، والنور ساحر زاهر ، وما اجملَ الشمس في عين الراحل الماثل !

اني لأتوق الى شرب الكأس حتى الثُمالة ، تلك الكأس الممزوجة بالرحيق والمرارة ، فقد يتبقّى في ذلك القدح ، الذي اشرب فيه الحياة نقطةٌ واحدة من الكوثر اللذيذ

قد يخبّىء لي المستقبل بين ثناياه ، عوداً الى الهناء الذي فقدتُ من الامل ، وقد اجد بين الملا ، روحاً لا اعرفها الآن ، تفهم روحي ، فتتآلفا وتتمازجا

ان وداع الزهرة عند سقوطها ، تسليمها عبيرها الى النسيم والشمس والحياة ، وأما انا فاذا قضيتُ ، تصاعدت روحي كلحن حزين مشجٍ

طفل يبتسم للحياة

رأس فتاة

(تصوير ايمي لمر)